العدالة الاجتماعية من منظار القرآن الكريم[1]

◆ **عناية الله شريفي** [2]

ترجمة: **ياسر بشير**

■ **خلاصة**

ينقسم العدل بحسب القرآن الكريم إلى: عدل إلهي وعدل إنساني، وينقسم العدل الإلهي إلى: عدل تكويني وعدل تشريعي، والعدل الإنساني ينقسم – بدوره - أيضًا إلى: عدل فردي وعدل اجتماعي، والعدل الاجتماعي إلى عدل: سياسي واقتصادي وأُسَري..إلخ .

وللعدالة وظائف متعددة، أهمّها: تعزيز الإيمان بالله والتوحيد، تكامل البشرية وتقدّمها، الاستفادة من نتائج العدل والحق، استفادة المجتمع من الأمن والسلام، تعزيز التقوى، وإيجاد الأُلفة والانسجام والتعايش بين طبقات المجتمع، وزيادة كفاءة النظام، والتجانس بين مُكوناته ومؤسساته، ونشر العدالة في ظل الدولة، وحفظ الدين والحدود، واستقرار الدولة، ومشاركة الشعب في جميع الأمور المتعلقة بالحكم، ومواجهة الأعداء..إلخ.

أما أهم عوامل الابتعاد عن العدل، ودوافع الظلم والبغي: فاتّباع هوى النفس، والإفراط في الحبِّ والبُغض، والتفكير النفعي والأثرة... إلخ.

الكلمات المفتاحية:

العدالة- القرآن- العدالة الاجتماعية، العدالة السياسية- الظلم - العدل الاقتصادي..

1 - (مترجم) عدالت اجتماعى از منظر قرآن كريم. نشريه رهيافت انقلاب اسلامى/ پاييز -1390 شماره 16.

2 - أستاذ مساعد في جامعة العلامة الطباطبائي- إيران.

مقدّمة

من وجهة نظر القرآن الكريم، فالعدالة لا تختصّ بناحية من نواحي الحياة، بل عليها يرتكز أساس نظام الوجود والخلق والقوانين والتشريعات الإلهية، وقد تمّ التأكيد عليها في جميع المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأُسَرية والقضائية، كما حذّر القرآن الكريم من جميع أنواع الظلم. وعليه، فمن أهم أبعاد العدل، العدالة الاجتماعية. التي يسعى هذا البحث للإجابة على عدد من الأسئلة المتعلقة بها، مثل:

ما هو مفهوم العدالة في القرآن الكريم؟

ما هي دائرة العدالة الاجتماعية، ومجالاتها من خلال القرآن؟

ما هي الآثار المترتبة على العدالة الاجتماعية من منظور القرآن؟

ما هي عوامل الابتعاد عن العدل، وما هي مصادر الظلم ودوافعه؟

مفهوم العدالة والكلمات ذات الصّلة

تُستعمل كلمة «العدل» في اللغة، بمعنى الوسط والمساواة والنظير، وبمعنى الحُكْم بالحقّ، وفي مقابل الجور[1]. ويقول ابن فارس: «ع- د- ل» لها أصلان متناقضان: 1. العدل: بمعنى المستوي والمعتدل، 2. العدل: بمعنى الاعوجاج والانحراف، العدل من الناس: المَرْضِيّ المستوي الطريقة، وجمعه «العدول». والعدل نقيض الظلم والجور[2].

أما «الجور» فيُقابل العدل، ومعناه التمايُل إلى شيء خارج عن متن الحق، ومن مصاديق الجَوْر، الظلم، وهو إضاعة الحق، وعدم تأدية ما هو حقّ[3].

كلمة «القسط» في القرآن الكريم، قد تُستعمل في بعض الموارد بمعنى العدل، وفي موارد أخرى بضدّ هذا

1- الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج2، ص38. وابن منظور، ج1، ص436.

2- أبو الحسن أحمد ابن فارس القزويني، معجم مقاييس اللغة، ج4، ص247.

3- حسن مصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج8، ص55.

المعنى، أي بمعنى الظلم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا**﴾[الجنّ: 15].

أما الفرق بين العدل والقسط، فإنّ العدل أعمّ من القسط، والقسط هو العدل البيِّن الظاهر، ومنه سُمّيَ المكيال قسطًا، والميزان قسطًا، لأنّه يصوّر لك العدل في الوزن، حتى تراه ظاهرًا[1].

وللعدل اصطلاحًا معاني مختلفة: العدالة في الاصطلاح الفقهي، عبارة عن ملكة راسخة في النفس، تبعث على ملازمة التقوى والمروة، بحيث لا يُواقع الكبائر، ولا يُصرّ على الصغائر وهذا ما عليه إجماع الفقهاء[2]، ويعرّفها المرحوم الطبرسي «كالشيء من جنس نفسه، أي المساواة»[3].

ويعتقد ابن أبي الحديد، أنّ العدالة خُلق وسط بين الإفراط والتفريط[4]. أما العلامة الطباطبائي فيرى أنه يجب تعريف العدالة، بالتطبيق على الفطرة التي عليها بُنِيَ الإسلام، وكتب في تعريفها: «العدالة في اللغة، بمعنى الاعتدال والتوسط بين النمطين العالي والداني، والجانبين الإفراط والتفريط»[5].

كما يعتقد أنّ المعنى الدقيق للعدل، هو إقامة المساواة والموازاة بين الأمور، بأن يُعطى كلٌّ من السهم، ما ينبغي أن يُعطاه، حتى يتساوى في أن كلا منها واقع موضعه الذي يستحقّه[6]. وفي الحقيقة، يعود هذا التعريف إلى ما ذكره الإمام علي(ع) حول تعريفها، أي: «إعطاء كل ذي حقّ حقّه»[7].

ويبدو أنّ هذا التعريف، أكمل وأكثر شمولية من جميع التعريفات الأخرى، والمهم فيه، أنّه تمّ تعريف العدالة بالاتّكاء على الحق، وجعله المعيار، ويمُكن أن نقول في المقام، بحسب القرآن الكريم، بأنّ (العدالة): مراعاة الحقّ، وأي تقدّم عليها أو تأخّر، وأيّ إفراط أو تفريط بها، يؤدّي إلى ضياع الحقّ، والحق بمعنى «أن يكون، ما يجب أن يكون».

و«الحق» هو ذلك المعيار الذي يهتدي به الإنسان، والعدالة تتحقّق وفقاً للحق، والعدل هو مراعاة ذلك الحق، والحدود اللازمة التي يُعتبر تجاوزها مصداقًا للظلم والتعدّي. إذا يُقال للشخص الذي يراعي الحدود

1- أبو هلال العسكري العسكري، الفروق اللغوية، مادّة عدل.

2- شمس الدين الشهيد الأول، ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، ص230، (الإمام روح الله الخميني، تحرير الوسيلة، ج1، ص10.

3- الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان، ج1، ص103.

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج18، ص216-217.

5- العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج6، ص125.

6- العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ،ج12، ص331.

7- نهج البلاغة، الخطبة37.

والحقوق، أنّه عادل، وقد أشارت سورة الرحمن إلى هذا المعيار، من أجل إقامة العدل: ﴿**وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ**﴾[الرحمن: 7-9].

وقد اهتمّ القرآن الكريم – أيضًا- بهذا الحق أو الحدّ، واعتبر أن مراعاته هي الصراط المستقيم، وعتبر انتهاك الصراط المستقيم وعدم مراعاة الحق وتعدّي الحدّ من الظلم: ﴿**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[البقرة: 229]. و﴿**وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾[الطلاق:1].. وقوله عز وجل: ﴿**فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ**﴾[سورة ص: 22].

● أهمية العدالة الاجتماعية في القرآن ومجالاتها

للعدل في القرآن الكريم مكانة رفيعة. وقد تعرّضت أكثر من 95 سورة من سوره الـ114، لموضوع العدل والظلم، ويمكن أن نرى في عدد كبير من آيات القرآن الكريم، هاتين الكلمتين. وكذلك المُشتقات والمفاهيم المرتبطة بالعدل والظلم. وإذا التفتنا إلى مصاديق العدل والظلم، في كل أبعاد الإنسان الوجودية، وفي دائرة الصفات الإلهية، يمكننا أنّ ندّعي أن جميع آيات القرآن الكريم، تقع تحت ظلّ هذين المفهومين.

إنّ رفض الله عز وجل لأي نوع من الظلم، في أي مجال وعلى أي مستوى، وقيامه بالقسط، يعبرّ عن جوهر النظام التشريعي المبني على العدل، وإنّ جعل الهدف من بعثة الأنبياء والشرائع السماوية عبارة عن قيام الناس بالقسط، يدلّ على الاتجاه الأصلي لهذا النظام، نحو العدل في جميع النواحي الفردية والاجتماعية[1]. ولهذا أمر الله بالعدل في الكثير من الآيات، وبشكل قاطع، كما اعتبره واجبًا. في إحدى الآيات، يأمر جميع المؤمنين أن يعدلوا، كما ينبّه المجتمع الإسلامي بأن لا تجرّه عداوة الأعداء لترك العدل، وأن المطلوب أن يتصرفوا بالعدل حتى مع أعدائكم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾[المائدة: 8]. وقوله : (قوّامين)، جمع قوّام (صيغة مبالغة) بمعنى (كثير القيام)، ومعناها أنه يجب القيام بالقسط في جميع الأحوال وفي جميع الأعمال، وفي كلّ زمان، حتى يُصبح هذا العمل ملكة لديك، ويصبح الابتعاد عنها خلاف لطبعك وروحك[2].

1- أبو القاسم الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص56-58.

2- ناصر مكارم شيرازى وآخرين، تفسير نمونه، ج4، ص299.

وفي آية أخرى، يعتبر أنّ إقامة العدل والقسط من الأهداف الأساسية لبعثة الأنبياء، ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾ [الحديد: 25]. وفي مكان آخر يأمر النبي داوود(ع) بأن يقضي بين الناس بالعدل: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[ص: 26].

كما رُويت العديد من الأحاديث والروايات عن الرسول(ص) وأئمة أهل البيت(ع)، فيما يخصّ التحلّي، والتمسك والعمل بالعدل، واجتناب الظلم والتعدّي. يقول رسول الله (ص): «إياكم والظلم فإنّ الظلم عند الله هو الظلمات يوم القيامة[1]. وفي حديث آخر: « وبالعدل قامت السموات والأرض»[2]. وهذا الحديث يشير إلى أنّه علاوة على أن الدنيا لا تقوم بدون عدل، فالكون وعالم الوجود كلّه، والسماوات والأرض، الكلّ يقوم بالعدل، وفي وضع كلّ شيء في مكانه المناسب، وإذا ما حادوا ولو للحظة عن هذا الطريق فمصيرهم الزوال والاضمحلال. وربما لهذا السبب، نقرأ في الحديث: «المُلك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم»[3].

ونظراً لأهمية دور العدالة في المجتمع، فقد عمّمها القرآن الكريم في مختلف المجالات، وأهم هذه المجالات:

أ) العدالة الاقتصادية

يمُكننا القول: إنّ العدالة الاقتصادية من أهم مصاديق العدالة الاجتماعية، وكثيراً ما أكّد عليها القرآن الكريم، وكل التعاليم الإسلامية. إن تحقيق العدالة الاقتصادية والعدالة الظاهرة في [الآية 25 من سورة الحديد]، وتحديد الأصناف الستّة لمصرف [الفيء]، بهدف توزيع الثروات في [الآية 7 من سورة الحشر]، ورفض النظام الاقتصادي الربوي بهدف إيجاد وتحقيق العدالة الاقتصادية في [الآيتين 278 و279 من سورة البقرة]، وتقديم الفقراء والمحتاجين كمصاديق للإنفاق في [الآية 215 من سورة البقرة]، وأخذ حقوق الفقراء من الأغنياء، بما يحول دون تراكم الثروة، ولأجل دعم الفقراء والمحرومين في [الآيتين 24 و25 من سورة المعارج] ...إلخ، كلّ ذلك، يمُكن عدّه من أهم برامج تحقيق العدالة الاقتصادية في القرآن الكريم.

ففي النظام الاقتصادي العادل، يجب توزيع ثروات المجتمع بشكل عادل بين الجميع، وبشكلٍ يُؤدّى

1- الشيخ عباس القمي، سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، مادة ظلم.
2- الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، ذيل الآية 7 من سورة الرحمن.
3- ناصر مكارم شيرازى وآخرين، نفسير نمونه، ج4، ص302-303.

إلى كلّ ذي حقّ حقّه. وتوفير الشروط والأرضية المناسبة للاستفادة من العطايا الإلهية لكلّ أفراد المجتمع، يعتبر من أثار النظام العادل، حتى يتمكّن الناس في ظلّ ذلك، من أن يصبحوا أصحاب حقّ، من خلال اسعداداتهم والطاقات وجهودهم.

نعم، لا ينبغي أن يعتقد أحدٌ، أن العدالة تعني توزيع الثروة بالمساواة، دون الالتفات إلى طاقات الناس وجهودهم، لأنّ بعض المنادين بالعدالة، قد ابتُلي بهذه النظرة القاصرة، وهي - في الواقع - نظرة لا تنسجم مع صريح الآية القرآنية (**لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى**)[النجم: 39].

وفقاً لوجهة النظر هذه، فالأموال من وجهة نظر الإسلام، ثلاثة أصناف: الصنف الأول يجب تقسيمه بالتساوي على الجميع، الثاني يجب تقسيمه بشكل متفاوت بين الجميع، والصنف الثالث من الأموال، تلك التي تقسّم بصورة خاصّة بين بعض الأشخاص. فالمساواة بين الجميع، تُطبق حيث يكون الجميع شركاء بالتساوي في القيام بفعل ما، كالحرب مثلاً، أما لو قام البعض بجهد إضافي، فينبغي أن يحصلوا على سهمٍ أكبر. وقد قسّم الإمام علي (ع) أموال بيت المال وفقاً للفئة الأولى، أي بشكلٍ متساوٍ بين الجميع، ورفض مطالب بعض الجشعين بالزيادة، لكونهم ادّعوا دعم الإمام ومساندته، وقال لهم: «أتأمرونّي أن أطلب النّصر بالجور»[1].

فإذاً، للعدالة الاقتصادية سطحٌ أولي، وهو أنّه يجب أن يستفيد الجميع من المنافع الأساسية بشكل متساوي، حتى لا يُبتلى المجتمع بالفقر وآفاته، أما المستوى الأعلى، فيرتبط بجهد الأفراد وسعيهم وطاقتهم. لذلك، ينهى الأمير(ع) عن المساواة، دون أخذ الاستحقاق بعين الاعتبار، فيقول: « .. وإنّ إعطاء المال في غير حقّه، تبذيرٌ وإسرافٌ، وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة، ويُكرمه في الناس ويهينه عند الله»[2]. وبالتالي، فإذا لم يتحقق هذا الأمر، وتمّ توزيع الثروة بشكل متفاوت، فستكون نتيجته الفقر والفروقات الطبقية، التي تجلب معها الكثير من المفاسد الاجتماعية، كانتشار الظلم، وتراكم الثروة لدى فئة معينة..

ب) العدالة السياسية

تتمتع العدالة السياسية في الثقافة الإسلامية بأهمية كبيرة، وقد أكّد عليها القرآن الكريم، عندما أمر العدل والإحسان في [الآية 90 من سورة النحل]، وعندما أمر النبي داوود (ع) بأن يحكم بالعدل بين الناس في [الآية 36 من سورة ص]، وعندما اعتبر أن إقامة العدل القسط، من أهداف بعثة الأنبياء في [الآية 35 من سورة الحديد]..إلخ.

1- نهج البلاغة، الخطبة 126.

2- نهج البلاغة، الخطبة 126.

والعدالة الاجتماعية والسياسية التي ترتبط بمصير الشعوب والدول، مهمّة جدًّا، حيث لم يُهملها أيّ شعب أو مدرسة أو عالم بالسياسة والاجتماع، حتى الحكومات والقادة الظالمون، يسعون لأن يتّصف نظامهم بالعدل ولو كذباً، وينادون بالعدالة كهدفٍ لهم.

ويُصبح للعدالة السياسية معنى، عند تطبيق التوزان في توزيع السلطة، بين من يليق لإدارة أمور المجتمع. وأفراد المجتمع الذين وصلوا إلى السلطة من خلال سلوك الطريق الموافق للتعاليم الإلهية، فأولئك يجب النظر إليهم بعين الثقة، وينبغي تمكينهم ومنحهم إدارة مقدرات المجتمع والدولة، بشكل عادل، وبحسب الجدارة والكفاءة.

ويظهر من بعض كلمات أمير المؤمنين علي (ع) أنّ إصلاح المجتمع، يتحقّق عندما تستقيم العلاقات الاجتماعية، أي عندما تكون علاقة الجهاز الحاكم صادقة وقانونية (شرعية) مع الشعب، وعندما لا يتعدّ أحد دائرة صلاحياته وواجباته. ومن هنا، يمُكن القول: إنّ إصلاح النظام السياسي وتنقيته من مظاهر الانحراف والنقص، هو المصداق الأول للعدالة. يقول الإمام علي (ع) في هذا الصدد: «فليسَت تَصْلُحُ الرَّعيّة إلا بصلاح الوُلاة، ولا تَصْلُحُ الولاةُ إلا باستقامة الرَّعيّة، فإذا أدَّت الرَّعيَّةُ إلى الوالي حقّه وأدّى الوالي إليها حقَّها، عزَّ الحقُّ بينَهم وقامت مناهجُ الديّن واعتدَلَت معالِم العدل...»[1].

من خلال التدقيق في الكلمات السابقة، سنجد أنّ صلاح المجتمع مرتبط بصلاح العلاقات السياسية من الجهتين: الشعب مع الجهاز أو الإدارة الحاكمة، وهذه الإدارة مع الشعب. وبهذه الحالة تنتظم العلاقات الاجتماعية أيضاً. أما إذا خرجت هذه العلاقات السويّة عن حالة الاعتدال، فإنّ النظام الاجتماعي أيضاً سيتزلزل ويضطرب، وسيُصبح أسيراً للفساد.

يعتبر الإمام علي (ع) أنّ إصلاح النظام السياسي، علامة على الإصلاح الثقافي والاجتماعي، كما أنّ الفساد في النظام السياسي يُعتبر أرضية ومقدمة لانتشار الفساد في كلّ المجالات. وعلى هذا، فطبيعة العلاقات السياسية، تقتضي أن يكون رجال السلطة مسؤولين أمام الشعب، وعلى الشعب أن يُراعي حقوق القادة الذين يحملون أمانة هذه المسؤولية. ومن هنا، فالاختلاف الأساسي بين النظام الإلهي وبقية الأنظمة يرتكز على العدالة السياسية، حيث إنّ الطرفين في هذا النظام - وعلى عكس بقية الأنظمة - مسؤولان، فكما يجب على الحاكم أن يؤدّي حقوق الشعب بالمساواة بينهم، يجب على الشعب - بالقدر نفسه - أن يهتمّ بمسؤولياته ويراعي حقوقه في المجتمع.

1- نهج البلاغة، الخطبة 216.

ج) العدالة داخل الأسرة

إنّ رعاية حقوق المرأة في [الآية 127 من سورة النساء]، ووجوب رعاية العدال بين النساء في حالة التعدد من قبل الرجل، [في الآية 4 من سورة النساء]، والاكتفاء بامرأة واحدة في [الآية 3 من سورة النساء]، كلّها من التعاليم القرآنية، المتعلقة بتحقيق العدل داخل نطاق الأسرة.

د) العدالة العسكرية

أكّد القرآن - أيضًا -على العدالة في المجال العسكري في عدّة آيات، [كالآيتين 190 و194 من سورة البقرة] والآيات [2 و8 و32 من سورة المائدة] و [الآية 126 من سورة النحل] و[الآية 60 من سورة الحج] و[الآية8 من سورة الممتحنة].. وقد طلب من المسلمين ورجال الدولة والعسكرين، أن يراعوا العدل والقسط في الحروب وألا يعتدوا أو يظلموا أحدًا.

هـ) العدالة القضائية

إنّ ضرورة كون الشهود عدولاً [البقرة: 282]، و[المائدة: 95] والعدالة في الكلام [النساء: 3 و129] والعدالة أثناء الحكم [الأنعام: 152]، كلّها تبيّن أهمية العدالة والحرص على تحقيقها في القرآن، وأن لا شيء يمكن أن يحلّ مكانها.

● وظيفة العدالة وآثارها في المجتمع

إذا احتُرِمَت العدالة، وتمّ تنفيذها بشكل دقيق، فسيكون لها آثار ووظائف متعددة ومتنوعة، نستعرض فيما يلي أهمّها:

تعزيز الإيمان بالله والتوحيد

من خلال الإشارة إلى دور العدالة في نظام الوجود والنظام التشريعي، يؤكد القرآن، أنّ تطبيق العدل في التشريع والتكوين أهم دليل على أنّ التوحيد والوحدانية حاكمة على الوجود، وحاكمية القسط والعدل على نظام العالم أفضل دليل على التوحيد. يقول عز وجل: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[آل عمران: 18]، و الله – عز وجل- الذي يقوم بالعدل دائمًا، يعطي دليلاً على أنّه لا معبود غيره، وكذلك الملائكة وأولوا العلم أيضًا، يشهدون أنّه لا معبود قادر وحكيم غيره[1].

وبالتالي، يجب على أهل التوحيد أن يعملوا بالعدل والقسط، لكي يُظهروا توحيدهم، وأن تأخذهم ثقتهم بنفسهم نحو التوحيد، كما ظهر في: [هود: 84] و[الأعراف: 85]، لأنّ أهل التوحيد والإيمان التوحيدي، هم

1- الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان، ج2، ص717.

أهل العدل، وسيتنعمون بإيجابيات هذا الاعتقاد.

■ **تكامل البشرية وتقدّمها**

إنّ الهدف من خلق الإنسان هو وصوله إلى الكمال، وهناك عوامل كثيرةٌ للوصول إلى هذا الهدف، ومنها العمل والجهد والهمّة العالية وغير ذلك، ولكن ما يُمكن أن يقود المجتمع البشري نحو هذا الهدف، ويلعب دوراً أساسيًّا في ذلك، يأتي دور العدالة الاجتماعية. فعندما يرى الفرد في المجتمع أنّ حقوقه الأساسية محترمة من قبل الآخرين، وأنّهم يحترمون إنسانيته وكرامته، فإنّ ارتباط هذا الفرد بالبقية سيتحسّن، وسيسعى في المقابل، لأن يُؤدّي دوراً مفيداً في المجتمع.

إنّ المجتمع كالجسد، تعتمد سلامته وقوته على حسن تصرّف كل أفراده، وهذا الأمر لن يكون ممكناً إلا من خلال التعاون بين أفراد الشعب جميعاً، وبين الشعب والسلطة، وبين السلطة والشعب. وبالتالي، فبدون تحقُّق مبدأ العدالة، تضمحل قوة المجتمع، ويتعثر التطور والازدهار، ويصعب الوصول إلى الكمال، وكذلك، فالتعاون بين أفراد المجتمع، من شأنه ضمان بقاء المجتمع، وتجاوز المخاطر عنه.

■ **الاستفادة من نتائج الحقّ**

بحسب التعاليم الإلهية، لو أراد شخصٌ أو مجتمع ما، أن يرتقي في طريق الكمال والهداية الإلهية، فعليه أن يعمل بالعدل. في الواقع، إنّ العدل والعمل به يمثّل شهادةً عملية للحق وللقبول بالحق، وفي المحصلة سيتمّ الاستفادة من نتائج القبول بالحق، كما أشارت إليه الآية:[النساء: 135].

تنعّم المجتمع بالأمن والسلام

إنّ الالتزام بالعدالة في كافة المجالات، لا سيّما الاقتصادية، يُحقّق الأمن والسلام للأفراد والمجتمعات، ويجعلها تنعم بالرخاء والازدهار وهذا ما تؤكّده. [الآية 35 من سورة الإسراء]، وبالتّالي، فإنّ المجتمع الذي يريد أن يصل إلى السعادة في الدنيا والآخرة، يجب أن تكون العدالة هي الأساس الذي يبتني عليه سلوكه، ولا سيّما العدالة الجزئية والظاهرة. تقول السيد الزهراء (ع): «والعدل تنسيقاً للقلوب»[1].

التقوى

إحدى طرق تحصيل التقوى - حسب القرآن الكريم - هي رعاية العدل. يقول القرآن الكريم في هذا الصدد: ﴿**اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾[المائدة: 8].

إيجاد الألفة والتعاطف والانسجام بين طبقات المجتمع المختلفة

1- محمد رضا حكيمي وآخرين، الحياة، ج6، ص405.

يقول الإمام علي(ع): «العدل يُصلح البريّة»[1]. إذن، العدل يُصلح الناس، ويظهر ذلك بوضوح، في وظيفة العدال وتجنب الظلم في المجتمع، وكيف يُحقق ذلك، التآلف والانسجام بين الجماعات والفئات في المجتمع. ومن هنا، فإنّ كلّ ما يُؤدّي إلى الفساد والخراب، ويمنع نشر العدل في المجتمع، فقد وصفه القرآن الكريم بالفسق وحرّمه أيضاً. وكذلك الخبر الكاذب، الذي يترك أثراً على روحية الأفراد، فالقرآن يعتبره فسقا وخروجًا عن العدالة. لذلك المطلوب أن يكون دليل المعاملة عادلا، بنشر قيمة العدل، وتشجيع الجميع على تحصيل ملكة العدل وروحيتها.

وفي المجتمع المُتوازن، الذي يستفيد فيه كلّ الأفراد من الحقوق الاجتماعية الأساسية، كالسلطة والثروة والمكانة الاجتماعية، بشكل متساوي، وأن لا تكون السلطة والثروة بيد فئة خاصة، فبطبيعة الحال ستتعزّز الألفة وروح الأخوّة بين أفراد هذا المجتمع، لذا ورد عن الإمام علي (ع): «العدل مألوف»[2].

■ **كفاءة النظام والتجانس بين مؤسساته**

من وظائف العدل أيضًا، أنّ المجتمع والنظام المبني على العدالة - ذلك المجتمع الذي سعى الأنبياء وخُلفاؤهم لإقامته- سيكون فعّالاً. حيث ترتبط كفاءة النظام بكفاءة جميع مكوناته، لأنّه ليس هناك جزء أو وظيفة منفصلة عن الأجزاء والوظائف الأخرى. بعبارة أخرى، إنّ قوة النظام وتوازنه يرتبط بكفاءة كلّ مكوناته وليس بعضها، فعلى سبيل المثال، لا تنتظم الحياة الاجتماعية، في حال كان المُكوّن العسكري من المجتمع صالحاً، ولكن المجال القضائي والحقوقي يشوبه التمييز والظلم، كما لا يصلح المجتمع لو قام القضاء فيه على أساس العدل، بينما يسود الفساد والظلم في المجال الاقتصادي والتجاري. وهذا ما يؤكّد عليه القرآن في الكثير من آياته: (ليقوم الناسُ بالقسط)، (اقسطوا)، (اعدلوا)،(قوامين بالقسط)، والمقصود من ذلك كله، أن تشمل العدالة الاجتماعية جميع المجالات بحيث يتحقق الارتباط والتجانس بين جميع المكونات.

أما ما يُقابل ويخالف العدالة الاجتماعية، ويحول دون تحقيقها لوظيفتها المهمّة، فهو الظلم والجور، الذي يتسبب في انهيار المجتمع ودماره. إنّ الظلم وانتهاك حقوق الآخرين يؤدّي – لا محالة - إلى الحرمان من النّعم الإلهية، واستعجال الغضب الإلهي، وهذا ما أكده الإمام علي(ع)[3]، وانتشار العداوة بين الناس[4]..

1- عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، ج1، ص395.
2- عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، ج1، ص395.
3- نهج البلاغة، الرسالة 53.
4- عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، ج1، ص103.

ويلخّص الإمام علي(ع) نتيجة الظلم بكلمة واحدة فيقول: «الجور مِمْحاة»[1]. لأنه يُقصرّ عمر الدولة، ويقضي على حياة الأمّة.

■ **تشكيل العدالة في ظلّ الحكومة**

يُعتبر تحقيق العدالة الاجتماعية أحد أهداف بعثة الأنبياء، وهذا الهدف يحتاج تأمين بعض المقدمات، وأهمّ هذه المقدمات وأبرزها ضرورة تشكيل الحكومة. إنّ الهدف من الجهد الدؤوب والمستمر الذي قام به الأنبياء وخلفاؤهم، يتمثّل في إيجاد العدالة الاجتماعية وتحقيقها في جميع المجالات[2]. فلم يسعوا للرئاسة والجاه والرفاهية والراحة الدنيوية والشخصية، كما لم تكن الحكومة هدفاً لهم، بل كانوا يعتبرونها أداةً لتطبيق القانون والشرائع، وتحصيل حقوق المحرومين، مصداقا لقوله الله سبحانه: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾[الحديد: 25].

حفظ الدين وحدود المسلمين

يقول مولى المتقين علي(ع): «.. ذُدْ عن شرائع الدين، وحُطْ ثغورَ المسلمين، واحْرِزْ دينك وأمانتك، بإنصافك من نفسك، والعمل بالعدل في رعيّتك»[3].

■ **استقرار الدولة**

يقول أمير المؤمنين علي(ع): «من عمل بالعدل حصّن الله ملكه»[4].. وفي كلام آخر له يقول(ع): «ثبات الدول بإقامة العدل»[5].. وقوله(ع): «ثبات الملك بالعدل»[6].. وعنه (ع) أيضًا: «اعدل تَدوم لك القدرة»[7].

مشاركة الشعب في كافة الأمور المتعلقة بالحكم

يقول الإمام علي(ع) في عهده لمالك الأشتر: «ولاَ يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ الْمَؤونَةَ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلاَدِكَ، وتَزْيِينِ وِلاَيَتِكَ، مَعَ اسْتِجْلاَبِكَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ، وتَبَجُّحِكَ بِاسْتِفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيْهِمْ مُعْتَمِداً فَضْلَ قُوَّتِهِمْ بِمَا ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ والثِّقَةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ فِي

1- عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، ج1، ص103.
2- الإمام روح الله الخميني، ولاية الفقيه، ص 59.
3- عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، ج4، ص36.
4- عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، ج5، ص355.
5- عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، ج3، ص353.
6- عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، ج1، ص385.
7- عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، ج2، ص178.

رِفْقَكَ بِهِمْ..» ومعناه: ستصبح سعيداً بانتشار العدل بين الناس(الرعية)، وستعتمد على قوتهم وقدرتهم في الحفاظ على العدل»[1].

■ **هزيمة العدو**

يقول رسول الله (ص): «من عمّ عدلُه، نُصر على عدوّه»[2].

ويقول الإمام علي (ع) في هذا الصدد أيضاً: «بالسيرة العادلة يُقهر المُعادي»[3].

● العوائق أمام العدالة الاجتماعية

■ اتّباع هوى النفس

بحسب القرآن الكريم، فإنّ عبادة الهوى واتّباعه، من أهم أسباب الانحراف عن تطبيق العدل، يقول سبحانه: ﴿**فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾[النساء: 135]. ومنها يُستفاد بوضوح أنّ مصدر الظلم والجور هو عبادة الهوى، فإذا لم يكن المجتمع تابعًا للهوى، فلن يكون للظلم والجَوْر سبيل إليه! ولأهمية تطبيق العدالة، نرى القرآن يؤكّد على ذلك، فإذا « منعتم وصول الحقّ إلى صاحبه أو بدّلتم الحق، أو إذا أعرضتم عن الحق بعض ظهوره، فإنّ الله يعلم ما تفعلون»: (وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً)، في الحقيقة، تُشير جملة (إن تلووا) إلى تبديل الحقّ وتغييره، بينما تُشير جملة (تعرضوا) إلى الامتناع عن الحكم بالحق[4].

■ العداوة والضغينة

يظهر من [الآية 8 من سورة المائدة]، أنّ الضغائن والعداوات الشخصية، تُعتبر كذلك مانعة من إقامة العدل، ولذلك حذّر القرآن المسلمين، من الإصغاء لهذه الضغائن والعداوات، فإنها تحول دون تحقيق العدالة، وتكون سبباً في انتهاك حقوق الآخرين. يقول سبحانه في هذا المقام: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾[المائدة: 8].

1- نهج البلاغة، صفحة الرسالة 53.

2- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج72، ص359.

3- عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، ج3، ص219.

4- ناصر مكارم شيرازى وآخرين، تفسير نمونه، ج4، ص161.

■ **النفعية**

يظهر من [الآية 135 من سورة النساء]، أنّ البعض ومن أجل منافعهم الشخصية، أو اعتبارات القرابة، قد يمتنعون عن أداء الشهادة التي تضر بأقرابهم، ولذلك يحذّر اللهُ المؤمنين من هذا العمل الذي لا يتوافق مع روح الإيمان، فالمؤمن الحقيقي هو الشخص الذي لا يقيم اعتبارًا لأيّ شيء يُخالف الحق والعدالة، بل يتجاوز مصالحه الخاصة ومصالح أقربائه من أجل إحقاق العدل[1]. يقول سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا**﴾[النساء: 135].

خاتمة

من خلال ما تقدّم يمُكن التأكيد على الآتي:

العدل، يعني إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه، والحقّ جزء أساسي في تعريف العدل، وبحسب القرآن الكريم، فإنّ مراعاة الحق، تعني أنّ أي إفراط فيه أو تفريط، يعني ضياع للحق، وميلٌ باتجاه الظلم والجور.

العدالة في القرآن الكريم، تحظى بقيمة عالية، وهي حاضرة بشكل واسع جداً، بحيث تُقسّم إلى عدالة إلهية وإنسانية، والعدالة الإنسانية تقسّم إلى عدالة فردية وعدالة اجتماعية، والعدالة الاجتماعية إلى عدالة سياسية واقتصادية وأُسَرِيّة وقضائية وعسكرية.. ولكن العدالتين السياسية والاقتصادية، تحظيان بأهمّية خاصّة، لأنّ العدالة الاجتماعية تقوم عليهما.

للعدالة في المجتمع آثار ووظائف كثير، أهمّها: 1) تعزيز الإيمان بالله والتوحيد. 2) التكامل والتقدّم الإنساني. 3) تنعّم المجتمع بالأمن والسلام. 4) اكتساب التقوى. 5) إيجاد الألفة والتعاطف بين طبقات الشعب المختلفة. 6) تشكيل العدالة في ظل الحكومة.

أهم عوامل الابتعاد عن العدالة والتوجه نحو الظلم والجور بحسب القرآن الكريم، هي:

1) اتّباع هوى النفس.

2) الإفراط في الحُب أو البُغض.

3) النفعية.

4) العداوة والضغينة.

1- ناصر مكارم شيرازى وآخرين، نفسير نمونه، ج4، ص161.

المصادر والمراجع

- ابن أبي الحديد. (1341هـ). شرح نهج البلاغة. قم: كتابخانه آيت الله مرعشى نجفى.
- أبو القاسم الخوئي. (1412هـ). البيان في تفسير القرآن. بيروت: دار الزهراء.
- أبو هلال العسكري. (1412هـ). الفروق اللغوية. قم: جامعه مدرسين
- أحمد ابن فارس القزويني. (1422هـ). معجم مقاييس اللغة. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- حسن مصطفوى. (1360). التحقيق. تهران: بنگاه ترجمه و نشر كتاب.
- روح الله الخميني. (1419هـ، ج1). تحرير الوسيلة. قم: جامعه مدرسين.
- روح الله الخميني. (بلا تاريخ). ولاية الفقيه.
- شمس الدين الشهيد الأول. (1273). الذكرى.
- عباس القمي. (1416). سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار. طهران: دار الأسوة للطباعة والنشر.
- عبد الواحد بن محمد تميمي الآمدي. (1366). غرر الحكم ودرر الكلم. قم: دفتر تبليغات اسلامى.
- الفراهيدي, خ. (1410هـ، ج2). كتاب العين. قم: هجرت.
- الفضل بن الحسن الطبرسي. (1372). مجمع البيان (الإصدار 3). طهران: انتشارات ناصر خسرو.
- محسن الفيض الكاشاني. (1415). تفسير الصافي. انتشارات الصدر.
- محمد باقر المجلسي. (1403هـ). بحار الأنوار. بيروت: مؤسسة الوفاء.
- محمد بن مكرم (ابن منظور). (1414هـ، ج1). لسان العرب. بيروت: دار صادر.
- محمد حسين الطباطبائي. (1390هـ، ج12). الميزان في تفسير القرآن. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- محمد رضا حكيمى وآخرين. (1377). الحياة. (ا. آرام, Trans.) طهران: دفتر نشر فرهنگ اسلامى.
- ناصر مكارم شيرازى وآخرين. (1374، ج4). تفسير نمونه. قم: دار الكتب الإسلامية.
- نهج البلاغة. (بلا تاريخ).